مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

تَنْدَسَتُ المَعَانِي وتَجَلِّيَاتُهَا فِي القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَةِ الشّاذّةِ

Coherence of meanings and their appearance in the Qiraat of Qur'an Anomalous

أ.د حبيب بوسغادي
habibalii15@gmail.com
جامعة عين تموشنت

تاريخ الإرسال:03–01–2021 تاريخ القبول:05–05–2021

I. الملخـــص:

تتأسس ورقتنا البحثية على تناول جانب مهم في حقل الدراسات القرآنية واللغوية؛ إذ تنطلق من تناول المفردة القراءاتية الشاذة وعرض خصوصيتها الدلالية وخواصها البيانية والجمالية؛ ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع بالذات وبهذا العنوان أنّنا لم نجد دراسة تطرقت لمدارسة حيثياته وجوانبه، وعليه فإنّ مداخلتنا ستُنَوّر عناصره اتّباعا للأسئلة التالية: فيم تكمن جمالية المعاني المنسلة من القراءات القرآنية الشاذة؟ وهل حضورها في التراكيب يوازي معاني القراءات المتواترة؟

من هنا فإنّ البحث سيتكئ على مدارسة جملة من المفردات القرآنية الشّاذة، كاشفين الغطاء عن معانيها، ومزيلين العجمة عن مبانيها؛ بل الأكثر من ذلك، أنّ هذا النوع من الحقول الدلالية يصلح لأن يكون معجما لغويا ودلاليا يفيد الأساتذة وطلبة العلم على حدّ سواء؛ ليكون في الأخير لبنة أخرى تعزز من قيمة وقدسية هذا الكتاب المبين.

الكلمات المفتاحية: القراءات الشاذة؛ الدلالة؛ السياق؛ القيمة الجمالية.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

I. ABSTRACT:

Our research paper wants to study an important aspect of the field of linguistic and Quranic studies ; So that it deals with the non-frequent Qur'anic term and shows its semantic and graphic meaning ; The reason for choosing this topic and with this title is that we did not find a study that dealt with it. From here, we were obliged to address the following questions: What are the aesthetics of the meanings of the anomalous Qur'anic Qiraats? Is her presence in the compositions similar to the meanings of the frequent Qiraats? Consequently, the research will deal with some of the Qur'anic words and try to show their semantic and rhetorical aesthetics. Rather, more than that, this type of knowledge field can be a lexical and semantic lexicon. The research confirms that the Noble Qur'an is miraculous by its words and structures, and this is the secret of its survival and preservation.

Keywords: Qiraat of Qur'an Anomalous; Significance; context; aesthetic value.

1. المقدمـــة:

كتب في القراءات القرآنية المتواترة الكثير، و لم يكتب في القراءات الشاذة إلا النزر اليسير، لذلك اتخذنا من مادتها الغضة الطرية معينا نغترف منه في مداخلتنا هذه، وإذ نبحث في هذا الموضوع نريد أن نعرف القارئ الكريم أهمية وفائدة هذا النوع من القراءات، لما يحويه من ثراء لغوي وكنز معرفي تغافل عنه كثير من الباحثين والدارسين.

تكمن أهمية البحث في كونه يلامس المفردة القراءاتية الشاذة التي سيتناولها بالدراسة والتحليل، مبينا سحنتها البيانية والجمالية فالدلالية، كونها لا تقل أهمية عن القراءات المتواترة؛ كما نريد أن نبين له الدلالات المخبوءة المتخفية من ورائها، فقد عفا

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

الزمان عن رسمها، وأصبحت في طي النسيان وحبيسة جنبات الكتب والمؤلفات؛ لقلة استعمالها ووظيفِيَتِهَا، وبحثنا هذا يريد أن يخرجها إلى النور، ويُشَهّرَ بها على أنها لآلئ تحتاج إلى لَبُوسٍ جديد من خلال توظيفها في الجمل والتراكيب؛ لذلك صحّ منّا العزم اتّخاذ كلّا من الإحصاء والتحليل منهجين لتباحث إشكالية الموضوع؛ وحَقِيقٌ عَلَى أن يجاب عنها[1]

من هنا فإنّ بحثنا يكتسي جانبا في الطرح، سيجد القارئ يَنْعَهُ في نتائج البحث؛ أمّا عن الطريقة التي اتّبعتها في إيراد مادة البحث وكيفية تناولها فإني أقدم بين يدي النموذج المختار الآية القرآنية، ثم أورد محل الشاهد الذي سأشتغل عليه، مبيّنًا القراءة المتواترة فالشّاذة مع القارئين بهما، ثم أُتْبِع كلّ ذلك بتوجيهٍ لهما، ذاكرًا أقوال العلماء من اللغويين والمفسرين بخاصة، محاولاً في الأخير التوفيق بينهما على أنّ كلّ منهما يكمّل الآخر، ومبينًا أنّ هذه الكلمة المقروءة تمّ هندستها فكانت بحق غضّةً طريةً وارفة الظلال.

[1]– قلتُ كتب في الموضوع قليلٌ من الباحثين، ولسنا السباقين لتناول القراءات الشاذة بالدراسة، ولا بأس أن أشير في الهامش إلى بعض الدراسات التي قامت إليها فاحتضنتها بالدراسة والتحليل، أغلبها كان في شقّ التباحث اللغوي والإعرابي؛ ومن هذه الدراسات على سبيل المثال: التوجيه النحوي والصرفي للقراءات الشاذة للقرآن الكريم: أسسه ومظاهره، أحمد محمود الرفاعي وآخرون، 1997؛ والصيغ في القراءات الشاذة في كتاب المحتسب لابن جنى–دراسة دلالية صرفية تركيبة–خالد محمد قمر الدولة، 2004؛ والقراءات الشاذة للقرآن الكريم في ضوء منهج القرائن النحوية، محمد عبد المجيد الطويل، 1980؛ و موقف النحاة من الاحتجاج بالقراءات الشواذ، مصطفي محمد خليل عمرو، 2005؛ والقراءات الشاذة ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية، عبد العلي المسئول، 2008؛ والقراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية، حمدي العدوي، 2006؛ والأثر الدلالي لاختلاف المعنى المعجمي في القراءات الشاذة، حميدي عمر، 2020.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

سنمخر عباب الموضوع من خلال التعرض لجملة من العناصر، ارتضينا أن ينهض عليها سوق البحث وفق الخطة التالية: مقدمة وفيها أهمية البحث وفائدته؛ لندلف بعد ذلك إلى توطئة نعرض فيها مدخلا مفاهيميا حول مصطلحات البحث، على أن نتبع كلّ ذلك بمدارسة **نماذج مختارة**، لنخلص بعد ذلك إلى إيراد نتائج البحث ومقترحاته، مشفوعة بالقائمة المكتبية للمصادر والمراجع.

2. مدخل مفاهيمي: القراءات القرآنية (المتواترة والشاذة) بحثٌ في المفهوم:

1.2 . تعريف القراءات القرآنية:

فرض عليّ مقام البحث أن أعرّج للتعريف بالقراءات القرآنية المتواترة والشّاذة، ثمّ أبيّن فائدة كلّ منهما، وأهميتهما في الاحتجاج بهما.

من يطالع معاجم اللغة عند مادة (قرأ) يجد أنّها من قرأ الكتاب قراءة وقرآنا إذا ضمّه، وقرأ الشيء قرآنا أيضا جمعه وضمه، ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمّها، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ** ﴿١٧﴾﴾ **[**القيامة:**17]**، أي: قراءته...وجمع القارئ، قرأة مثل كافر كفرة[1] وقد تَقَرَّأَ فلان: تَنَسَّكَ ... وأقرأت المرأة: حاضت ... وما قرأت هذه الناقة سلاً قط: ما ضمت، أي: ما حملت ولدًا[2]

إذن نستنتج أنّ القراءة من معانيها المحورية (**الجمع والضمّ**).

[1]– ينظر: الرازي محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح، ط1 تح: يحي خالد توفيق، القاهرة، مكتبة الآداب، 1998، مادة قرأ.

[2]– ينظر: الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، (د.ط)، بيروت، دار الفكر، 2004، مادة قرأ.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

أما من الناحية الاصطلاحية فمن أمّهات التعاريف التي وضعت في هذا الشأن ما قاله عمداء هذا الفن، نذكر منهم: – تعريف ابن الجزري: «علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعَزْوِ النَّاقِلَةِ»[1]

–وعرفها البنا الدمياطي: «علم يُعْلَمُ منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع»[2]

– أما الزرقاني فقد عرفها بأنها: «مذهب يَذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في هيئاتها»[3]

أما من المحدثين فقد عرفها عبد الهادي الفضلي: «النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي الأكرم أو كما نُطِقت أمامه فأقرها، سواء كان النطق باللفظ المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلا أو تقريرا، واحدا أم متعددا»[4]

نستنتج من خلال التعاريف المذكورة أعلاه أن القراءات القرآنية:

–كيفية أداء كلمات القرآن.

---

[1]– ابن الجَزَرِي شمس الدين محمد، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ط1 وضع حواشيه: زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، 1999، ص9.

[2]– البَنَّا الدِّمْيَاطي شهاب الدين، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، وضع حواشيه: أنس مهرة، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006، ص6

[3]– الزُّرْقَاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط1، لبنان، بيروت، دار الفكر، 2004، 284/1.

[4]– الفضلي عبد الهادي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، ط3، بيروت، دار القلم، 1985، ص56.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

– مذاهب الناقلين لكتاب الله.

ولعل التعريف المختار من خلال المزج بين هذه التعاريف هو:(الاختلاف في كيفية أداء كلمات القرآن نقلا عن الأئمة).

2.2 . أقسام القراءات القرآنية:

وجدنا علماء هذا الفن قد قسموا القراءات من حيث السند إلى ستة أقسام، ثم بينوا حكم كل نوع ودرجته من حيث القبول والرد، وهذه الأقسام نوردها مرتبة حسب درجة الصحة والضعف:

أ/ المتواتر: وهو ما رواه جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم، ومثاله ما اتفقت الطرق في نقله عن السبعة.

ب/ المشهور: هو ما صح سنده بأن رواه العدل الضابط عن مثله وهكذا، ووافق العربية، ووافق أحد المصاحف العثمانية، سواء أكان عن الأئمة السبعة أم العشرة أم غيرهم من الأئمة المقبولين، واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ، إلا أنه لم يبلغ درجة المتواتر، ومثاله: ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة، فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض، ومن أشهر ما صنف في هذين النوعين: التيسير للداني، وطيبة النشر لابن الجزري.

ج/ ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور، وهذا النوع لا يقرأ به ولا يجب اعتقاده ... ومنه قراءة: ﴿ **لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ** ﴾ **[سورة التوبة: 128]**، بفتح الفاء.

د/ الشاذ: وهو ما لم يصح سنده، كقراءة ابن السَّمَيْفِع: ﴿ **فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً** ﴾ **[سورة يونس: 91]**، بالحاء المهملة.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

هـ/ الموضوع: وهو ما نسب إلى قائله من غير أصل، مثال ذلك، القراءات التي جمعها محمد بن جعفر الخزاعي ونسبها إلى أبي حنيفة نحو: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴿٢٨﴾ ﴾[سورة فاطر: 28] برفع الله ونصب العلماء.

و/ ما يشبه المدرج من أنواع الحديث، وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير، كقراءة سعد بن أبي وقاص: ﴿وله أخ أو أخت من أم﴾ (بزيادة لفظ أم) ... وكان الحسن يقرأ: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا**﴾**[سورة مريم: 71]**، الورود الدخول، قال الأنباري: قوله: الورود، الدخول، تفسير من الحسن لمعنى الورود، وغلط فيه بعض الرواة فأدخله في القرآن.[1]

إذن القراءات القرآنية نوعان: متواتر وشاذ، فالأول ما أجمعت عليه الأمة وتلقته بقبول حسن، والثاني صرفت نظرها عنه لعدم توفر الأركان الثلاثة التي اشترطها علماء القراءات وهي: التواتر، ولها وجه في العربية، وموافقتها لأحد المصاحف العثمانية.

3.2. رِفْعَة العربية مِنْ رِفْعَة القراءات القرآنية من خلال أقوال المستشرقين:

لم يُكتب لأمة من الأمم التوسع في لغتها وتباحث مادتها مثلما كُتِبَ للغة العربية، وقد شهد بذلك ثلة من الغربيين، يقول أنور الجندي بعد أن سرد جملة من الأعلام الغربيين وهم يشيدون بالعربية ولغة القرآن الكريم: «يقول جرمانوس إنّ في الإسلام سندا هاما للغة العربية أبقى على روعتها وخلودها فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة على نقيض ما حدث للغات القديمة المماثلة ... ولقد كان للإسلام قوة تحويل جارفة أثرت في الشعوب التي اعتنقته حديثا وكان لأسلوب القرآن الكريم أثر عميق في خيال هذه

[1] – ينظر: الزُّرْقَاني عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط1، بيروت، دار الفكر، 2004، 297/2 وما بعدها،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

الشعوب فاقتبست آلافا من الكلمات العربية ازدانت بها لغاتها الأصلية فازدادت قوة ونماء»[1]

ويقول لويس ماسينيون: «والعربية من أنقى اللغات، فقد تفردت بتفردها في طرق التعبير العلمي والفني والصوفي...ثم ذلك الإيجاز الذي تتسم به اللغة العربية والذي لا شبيه له في سائر لغات العالم والذي يعد معجزة لغوية»[2]

ويقول يوهان فك: «إنّ العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسيا لهذه الحقيقة الثابتة...لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر وإذا صدقت البوادر و لم تخطئ الدلائل فستحتفظ العربية بهذا المقام العتيد»[3]

ويقول المستشرق اربري: «إنّ اللغة العربية لغة حية، وحضارة العرب هي حضارة مستمرة فهي حضارة الأمس واليوم والغد، وعن طريق العرب عرفت أوربا الحضارة»[4]

وقال وليم مرسيه: «أما العربية فللعبارة من المتانة ما لا يبقى منه شيء يحجب مصدرها عن الناطق بها»[5]

[1]– أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، ط1، دار الكتاب اللبناني/بيروت، ومكتبة المدرسة، بيروت، 1982، ص301

[2]– المرجع نفسه، ص302

[3]– المرجع السابق، ص302

[4]– المرجع السابق، ص302

[5]– المرجع السابق، ص302

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

وبالتالي لا ضير في ذلك، من أنّ اللغة العربية صنو القرآن الكريم، فبه بلغت الأسباب، أسباب الارتقاء والحضارة؛ وخير شاهد على ذلك المؤلفات المتنوعة التي راحت تُثَوّرُ القرآن وتسبر أغواره وتستخرج كنوزه فمنهم من ألّف في غريبه وآخر في معانيه، وثالث في نحوه وإعرابه ورابع في نظمه وبلاغته، وهكذا تآليف شتى في مختلف العلوم والفنون.

ومّا زاد القرآن سموا ورفعة قراءاته المتعددة والمتنوعة، تلك «الطرق المختلفة لنُطق ألفاظ القرآن الموحى بها في إطار رسم تلك الألفاظ كما وردت في المصحف العثماني الإمام المجمع عليه»[1]، والتي بدورها أغنت اللغة العربية فأمدّتها بمادة لغوية منقطعة النظير لا تكاد تجد مثيلتها في لغات العالم قاطبة، «ولو جاءت القراءات قراءة واحدة مُحْكَمَةً لماتت اللغة العربية جمودا ولَلَحِقَ بها بعد حين التفكير العربي المسلم أيضا، ذلك أنّ الإنسان يفكر بلغته فالتفكير واللغة وجهان لعملة واحدة»[2]

والقراءات القرآنية أنواع منوعة، منها: «ما تلقى بالقبول، فشاع وذاع، وأقبل عليها أهل الأمصار ومنها ما لم يحظ بالقبول فلقبه الناس بالشاذ وهجروه وانصرفوا عنه إلى غيره، و لم يكن الهوى هو المقياس الذي شاع عند الناس لقبول قراءة والإعراض عن أخرى، ولكن جاء مقياسهم توليفة عبقرية من الأركان والشروط، عبرت بصدق عن المنهج الإسلامي الخالص في استيعاب الواقع للمثال والتفاعل معه بانسجام وتناغم وتكامل»[3]

[1]– صبري الأشوح، إعجاز القراءات القرآنية، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1998، ص7

[2]– المرجع نفسه، ص8

[3]– المرجع نفسه، ص9

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

4.2. القراءات الشاذة وحجيتها:

من يطالع كتب المعاجم العربية يجد أنّ مادة (شذّ) لا تخرج في معناها اللغوي عما يأتي: الندرة، الانفراد، القلة، الافتراق، الاعتزال والتنحي، التقصي، النسيان، المخالفة.

يقول الفيروز ابادي عن مادة (شذّ) « أشذذت يا رجل؟ إذا جاء بقول شاذ نادر، يقول ابن الأعرابي: يقال ما يدع فلان شاذا ولا نادا إلا قتله إذا كان شجاعا لا يلقاه أحد إلا قتله»[1]، وجاء في مصباح الفيومي: « شذ يشذ شذوذا انفرد عن غيره وشذ نفر فهو شاذ»[2]، وفي المعجم الوسيط« شذ شذوذا انفرد عن الجماعة أو خالفهم»[3]

أمّا إذا جئنا إلى تعريفها من الناحية الاصطلاحية فنجد أنّ هذه اللفظة قد تعاورتها أقلام العلماء ذوي اختصاصات مختلفة[4]، لا يسع البحث ذكرها كلّها وسنكتفي فقط بإيراد عينة من التعريفات.

في بادئ الأمر كان المصطلح يطلق على كل قارئ يخالف ما أجمع عليه عامة القراء يعتبر شاذا إلى بداية القرن الرابع إلى حين تأليف ابن مجاهد البغدادي (ت324هـ) كتابه السبعة، وجمع فيه سبعة قراء فقط أجمع السواد الأعظم من الناس على قراءاتهم، يقول: «هؤلاء سبعة نفر من أهل الحجاز والعراق والشام خلفوا في القراءة التابعين

[1]– محمد بن يعقوب الفيروزابادي، القاموس المحيط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 427/1

[2]– أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ط1، المكتبة العلمية، بيروت، 307/1

[3]– المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، 476/1.

[4]– ينظر: وليد الصميدعي، تعريف مصطلح الشذوذ عند النحاة والفقهاء والمحدثين في: أثر القراءة الشاذة في اختلاف الفقهاء، مجلة ديالي، العدد 45، السنة 2010، ص484–487

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

وأجمعت على قراءاتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سميت غيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار إلا أن يستحسن رجل لنفسه حرفا شاذا فيقرأ به من الحروف التي رويت عن بعض الأوائل منفردة فذلك غير داخل في قراءة العوام»[1]

ومن جملة التعريفات أيضا نجد الجرجاني يقول عنها أنّها: «ما يكون مخالفا للقياس من غير نظر إلى قلة وجوده وكثرته»[2]

ويقول إيميل يعقوب: «الخروج على القاعدة نحو الشذوذ في كلمة (المشرِق) وهي اسم مكان من (شَرُقَ) وكان القياس فيها (مشرَق) بفتح الراء لأنّ فعلها مضموم العين في المضارع (شرُق يشرُق)»[3]، ويقول الكفوي: «هو الذي يكون وجوده قليلا لكن لا يجيء على القياس، أمّا المقبول منه فهو الذي يجيء على خلاف القياس ويقبل عند الفصحاء والبلغاء، والمردود منه هو الذي يجيء على خلاف القياس ولا يقبل عند الفصحاء والبلغاء»[4]

إذن مصطلح الشاذ كما صرح بذلك اللغويون والأصوليون هو ما خرج عن القياس، لكن رغم هذه المسطرة التي وضعت وألبست بهذا المصطلح إلا أنّه نازع بالثقة كما صرّح بذلك جهابذة هذا الفن، يقول ابن جني: «وضربا تعدّى ذلك فسمّاه أهل زماننا شاذًّا، أي خارجا عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها، إلا أنّه مع خروجه عنها

[1]– ابن مجاهد أبو بكر، السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر، 1400هـ، 87/1

[2]– السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، 1938م، ص109

[3]– إيميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللغة العربية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، 18/6

[4]– أبو البقاء الكفوي، الكليات، ط2، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، السنة 1998، ص528–529

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

نازع بالثقة إلى قرّائه محفوف بالروايات من أمامه وورائه ولعله أو كثيرا منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه...ولسنا نقول ذلك فسحا بخلاف القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءاتهم، أو تسويغا للعدول عما أقرّته الثقات عنهم، لكن غرضنا منه أن نري وجه قوة ما يسمى الآن شاذا وأنه ضارب في صحة الرواية بِجِرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يُرَى مُرًى أنّ العدول عنه إنّما هو غضّ منه، أو تُهَمَة له، ومعاذ الله وكيف يكون هذا والرواية تَنْمِيه إلى رسول الله (ص)»[1]

وقال السيوطي في الاقتراح: «فكل ما ورد أنّه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترًا أو آحادًا أم شاذًا، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسًا معلومًا، بل ولو خالفته يُحْتَجُّ بها في مثل ذلك الحرف بعينه .... اللغات على اختلافها كلّها حجّة ألا ترى أنّ لغة الحجازيين في إعمال (ما) ولغة التميميين في تركه كُلٌّ منهما يقبله القياس، فليس لك أن تردّ إحدى اللغتين بصاحبتها»[2]، ومن المحْدَثين نجد محمد عبد الخالق عضيمة يشير إلى أنّ: «القرآن الكريم حجّة في العربية بقراءاته المتواترة وغير المتواترة، كما هو حجّة في الشريعة، فالقراءات الشاذة التي فقدت شرط التواتر لا تقلّ شأنًا عن أوثق ما نقِل إلينا من ألفاظ اللغة وأساليبها، وقد أجمع العلماء على أن نقل اللغة يُكتفى فيه برواية الآحاد.

لو أراد دارس النحو أن يحتكم إلى أسلوب القرآن وقراءاته في كل ما يعرض له من قوانين النحو والصرف، ما استطاع إلى ذلك سبيلًا؛ ذلك لأن الشعر قد استبدَّ بجهد

[1]– أبي الفتح ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994م، 32/1،33

[2]– جلال الدّين السّيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، قراءة وتعليق: محمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، قناة السويس، 2006م، ص 129–130.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

النحاة، فركنوا إليه، وعوّلوا عليه، بل جاوز كثيرٌ منهم حدّه، فنسب اللحن إلى القرّاء الأئمة، ورماهم بأنهم لا يدرون ما العربية؟! وكان تعويل النحويين على الشعر ثُغرةً نفذ منها الطاعنون عليهم؛ لأن الشعر رُوِيَ بروايات كثيرة، ثمّ هو موضع ضرورة»[1]

أما الفخر الرازي فنجده يرد على النحاة في غير موضع من تفسيره مؤكدا بأهمية الاحتجاج بالقراءات القرآنية (المتواترة والشاذة) وتقديمها على البيت الشعري، يقول: « وَكَثِيرًا أَرَى النَّحْوِيِّينَ يَتَحَيَّرُونَ فِي تَقْرِيرِ الْأَلْفَاظِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ، فَإِذَا اسْتَشْهَدُوا فِي تَقْرِيرِهِ بِبَيْتٍ مَجْهُولٍ فَرِحُوا بِهِ، وَأَنَا شَدِيدُ التَّعَجُّبِ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ إِذَا جَعَلُوا وُرُودَ ذَلِكَ الْبَيْتِ الْمَجْهُولِ عَلَى وَفْقِهِ دَلِيلًا عَلَى صِحَّتِهِ، فَلِأَنْ يَجْعَلُوا وُرُودَ الْقُرْآنِ بِهِ دَلِيلًا عَلَى صِحَّتِهِ كَانَ أَوْلَى»[2]

كما ناقش ابن المنير صاحب الكشاف عندما ردّ بعض القراءات القرآنية فقال: «فهذه شواهد من العربية يجمع شملها هذه القراءة، وليس القصد تصحيح القراءة بالعربية بل تصحيح العربية بالقراءة»[3]

وجاء على لسان الزركشي ما قوله تحت فصل [في توجيه القراءة الشاذة]: «وتوجيه القراءة الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة»[4]

---

[1]– عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، 1975م، ص92

[2]– فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ط1، دار الفكر، 9/ 401

[3]– جلال الدين السيوطي، نواهد الأبكار وشواهد الأفكار، تحقيق ودراسة: أحمد الدروبي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى بالسعودية، 1425هـ، 3/ 402.

[4]– بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1، 1957م، 341/1

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

إذن هذه هي أقوال العلماء بخصوص الاحتجاج والاستدلال بالقراءات القرآنية بمتواترها وشاذها، فهي مقدمة على الشعر والنثر على حدّ سواء، وبالتالي لابد أن يُرَدّ لها الاعتبار عن طريق استعمالها واستخدامها وحسن توظيفها.

3. تجليات معاني القراءات القرآنية الشاذة في تراكيب آي القرآن:

نظرا الأمثلة الكثيرة جدا رمنا الاقتصار على تناول بعض النماذج، حتى يكون القارئ على بينة مِنْ أنّه يمكن التوفيق بين القراءة المتواترة والقراءة الشاذة دون أن يكون هناك تناقض أو تضاد بينهما، كما نسعى أيضا إلى التعريف ببضاعة القراءات الشاذة وذلك بعرض معانيها الجمالية والبيانية، وسيكون هذا بمثابة الرد على كل طاعن أو مشكك في مصداقيتها.

الآية	محل الشاهد	معناها	المصدر
فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ [سورة يوسف:31]	مُتْكًا	هو الأترجّ، أي: ثمرُ شجرٍ من جنس الليمون، ويقال أيضا: هو الزُّمَاوَرْدُ، أي: طعام من اللحم والبيض	اللسان، التاج، القاموس، (مادة متك)
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا	الجُمّل	وهي الحبال التي تستعمل للسفن وتسمى القُلُوس واحدها قَلْس...كأن الحبل	الصحاح، التاج، اللسان، (مادة جمل)

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ [سورة الأعراف:40]		الغليظ سمي جمالة لأنها قوى كثيرة جمعت فأُجملت جملة ولعل الجملة اشتقت من جملة الحبل	
أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ [سورة الغاشية:17]	الإبلّ	السحاب التي تحمل الماء للمطر	معجم القراءات القرآنية، 403/10–404
وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ [سورة يوسف:45]	أَمَهٍ	الأمَهُ: النسيان، أمِهَ الرجل يأمَهُ أَمَهًا أي نسي	المحتسب، 344/1
أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ [سورة الكهف:79]	مسّاكين	أي الملاحين، وهم دبغة المسوك وهي الجلود، والسفينة لم تكن ملكا لهم بل كانوا يعملون فيها بالأجرة	تاج العروس 336/13 (مادة فقر)

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ [سورة البقرة:7]	عِشاوة	يدل على ظلام وقلة وضوح في الشيء	مقاييس اللغة 322/4
إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا ۝٧طَوِيلٗا [سورة المزمل:7]	سبخًا	يقال للقطعة من القطن سبخة ويقال سبخت القطن بمعنى نفشته ومعنى نفشته أي وسعته	معاني الزجاج 241/5
وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ[سورة النمل:82]	تَكْلِمُهُمْ	أي: تجرحهم	الصحاح، اللسان، التاج، (مادة كلم)

النماذج المختارة:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ ﴾[1]

[1]– سورة يوسف، الآية رقم 31

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

قرأ الجمهور مَتَّكَأً بتشديد التاء مع الهمز وهي القراءة الجيدة عند الزجاج، وقيل: هو اسم مكان، وقيل اسم للطعام وقيل هو الخمر في لغة كندة، وأصله: مُوْتَكَأ لأنه من توكّأت فأبدلت الواو تاء وأدغمت، قال ابن عطية في محرره: «(متّكأ) ما يتّكأ عليه من فرش ووسائد وعُبِّرَ بذلك عن مجلس أُعِدَ لكرامةٍ ومعلوم أنّ هذا النوع من الكرامات لا يخلو من الطعام والشراب فلذلك فسر مجاهد وعكرمة المتّكأ بالطعام»[1]

وقرأ ابن عباس وابن عمر وابن جبير ونصر بن عاصم ومجاهد وقتادة والضحاك والكلبي وابن هرمز والجحدري والأعمش والعطاردي وابن هرمز (مُتْكًا) بضم الميم وسكون التاء تخفيفا وتنوين الكاف على وزن فُعْل[2]

قيل: هو اسم لجميع ما يُقْطَعُ بالسكين كالأترج وغيره من الفواكه، وأنشدوا:

نَشْرَبُ الإِثْمَ بالصُّواع جِهَارًا وَنَرى المُتْكَ بيننا مُسْتَعَارًا [3]

أقوال العلماء اللغويين والمفسرين:

قال ابن جني في محتسبه: «وأمّا متْكا ساكنة التاء فقالوا: هو الأترجّ، أي: ثمرُ شجرٍ من جنس الليمون، ويقال أيضا: هو الزُّمَاوَرْدُ، أي: طعام من اللحم والبيض»[4]

[1]– ابن عطية الأندلسي المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، 238/3

[2]– ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات القرآنية، دار سعد الدين، دمشق، 2000م، 240/4.

[3]– ينظر: متولي بدوي البني، موسوعة تفسير سورة يوسف، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ص707

[4]– ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، 1/ 340.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

وقال السيوطي في دره بسند عن مجاهد قال: «من قرأ (متّكأ) شدّها فهو الطعام، ومن قرأ (متْكا) خفّفها فهو الأُتْرُنْجُ»[1]

وأخرج القرطبي بسنده قائلا: «فجئن وأخذن مجالسهن (وأعتدت لهنّ متّكأ) أي: هيّأت لهن مجالس يتّكئن عليها قال ابن جبير: في كل مجلس جامٌ فيه عسل وأترج وسكين حاد، ومنه قول الشاعر:

فظَلِلْنَا بنعمةٍ واتّكأنا وشربْنَا الحلالَ من قُلَلِهِ

أي: أكلنا»[2]

وعن النحاس عندما تطرق إلى كلمة (متّكأ) قال: «أصح ما قيل فيه ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: مجلسا وأما قول جماعة من أهل التفسير إنه الطعام، فيجوز على تقدير : طعام متّكأ، مثل (واسْئَلِ القَرْيَةَ)»[3]

وقال أبو حيان: «أي يسرت وهيأت لهن ما يتكئن عليه من النمارق والمخاد والوسائد وغير ذلك مما يكون في مجلس أعد للكرامة ومن المعلوم أن هذا النوع من الإكرام لا يخلو من طعام وشراب وهنا محذوف تقديره فجئن واتكأن ... وقال مجاهد المتكأ الطعام يجز حزا، قال القتبي يقال اتكأنا عند فلان أي أكلنا ويكون من المجاز عُبّر بالهيئة التي يكون عليها الآكل المترف بالمتكأ وهي عادة المترفين ألا ترى إلى قوله (ص)

[1]– جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مركز هجر للبحوث العربية والإسلامية، 2003م، 239/8.

[2]– محمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006م، 329/11

[3]– أبو بكر النحاس إعراب القرآن، اعتنى به خالد العلي، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2008م، ص449

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

أما أنا فلا آكل متكأ أو كما قال وإذا كان المتكأ ليس معبرا به عما يؤكل فمعلوم أن مثل هذا المجلس لابد فيه من طعام وشراب فيكون في جملة الطعام ما يقطع بالسكاكين»[1]

وقال الرازي: «وفي تفسيره وجوه: الأول: المتكأ النمرق الذي يتكأ عليه، الثاني: من المتكأ هو الطعام، قال العتبي والأصل فيه أن من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وسادة تسمى الطعام متكأ على الاستعارة»[2]

التوفيق بين القراءتين:

نلاحظ أنّ هناك عموم وخصوص بين القراءتين، حيث أنّ (المتّكأ) المشددة أفادت المجلس مع الطعام، و(المتْك) أفادت نوعا من الطعام، وبالتالي لا وجود لتضاد وتناقض بين القراءتين قال ابن أبي حاتم بسنده عن الشقري قال: «(متّكأ) بكلام الحبش يسمون الترنج متّكأ»[3]

وقال الطبري مؤولا ذلك: «كان معلوما أن السكاكين لا تدفع إلى من دُعي إلى مجلس إلا لقطع ما يؤكل إذا قطع بها، فاستغنى بفهم السامع بذكر إيتائها صواحباتها السكاكين، فكذلك استغنى بذكر اعتدادها لهن المتكأ عن ذكر ما يُعْتَدّ له المتّكأ مما يَحْضُر المجالسَ من الأطعمة والأشربة والفواكه وصنوف الالتهاء لفهم السامعين بالمـــراد

[1]– أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط وبهامشه البحر الماد من البحر المحيط والدر اللقيط من البحر المحيط، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1338هـــ، 302/5

[2]– الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1981م، 130/18.

[3]– ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، تح أسعد محمد الطيب، ط1، مركز الدراسات والبحوث بالرياض، 1997م، ص2133

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

من ذلك»[1]

والمعنى نفسه يؤكده الشوكاني: «(متّكأ) قال هيأت لهن مجلسا وكان سُنّتهم إذا وضعوا المائدة أعطوا كل إنسان سكينا يأكل به»[2]

إذن دلالة التشديد أفادت عموم الدلالة، ودلالة التخفيف أفادت خصوصها، وبالتالي لا تعارض بينهما، لأنّ المتّكأ يقتضي الأكل كما أنّ الأكل يقتضي متّكأ، يقول ابن الرومي يمدح: [3]

كأنّكم شجرُ الأترجّ طاب حملاً ونورًا وطاب العود

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ﴾[4]

قرأ الجمهور (الجمَلُ) بفتح الجيم والميم تخفيفا، والجمل هو الحيوان العظيم المعروف، ومنه أخرج السيوطي في دره بسند عن ابن حميد عن شُرَيْحٍ أنه كان يقول لأصحابه: «اخرجوا بنا إلى السوق فننظر إلى الإبل كيف خلقت؟»[5]

قال الرازي: «جسم الجمل أعظم الأجسام وثقب الإبرة أضيق المنافذ فكان ولوج الجمل في تلك الثقبة الضيقة محالا فلما وقّف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط،

[1]– ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح عبيد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر بالجيزة، 2001م، 130/13.

[2]– الشوكاني الصنعاني، فتح القدير، ط1، دار النوادر، الكويت، 2010م، 24/3

[3]– ابن الرومي، الديوان، تح أحمد حسن بسج، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، 465/2.

[4]– سورة الأعراف، الآية رقم 40

[5]– تفسير الدر المنثور، 391/6.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

وكان هذا شرطا محالا، وثبت في العقول أن الموقوف على المحال محال، وجب أن يكون دخولهم الجنة مأيوسا منه قطعا»[1]

ومما يؤكد على هذه القراءة المخففة ما جاء في قراءة ابن مسعود التفسيرية، بسنده عن مجاهد قال: في قراءة ابن مسعود: «حتى يلج الجمل الأصفر في سمّ الخياط»[2]

وأخرج ابن جرير عن الحسن في الآية قال: «حتى يدخل البعير في خَرْقِ الإبرة»[3]

وقرأ ابن عباس وعلي ومجاهد وابن يعمر وأبو مجلز والشعبي ومالك بن الشّخّير والعطاردي وابن محيصن وابن مسعود وأبي وعكرمة وابن جبير والمازني والخليل (الجُمَّلُ) بفتح الميم وتشديدها[4]

قال ابن منظور: «قال الأزهري: وروي عن ابن عباس أنه قال: الجِمالات حبال السفن يُجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال وهي التي تستعمل للسفن وتسمى القُلُوس واحدها قَلْس ...كأن الحبل الغليظ سمي جمالة لأنها قوى كثيرة جمعت فأُجملت جملة ولعل الجملة اشتقت من جملة الحبل»[5]

ورغم أن الطبري لم يستسغ قراءة التشديد و لم ينتصر لها حينما قال: «والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرأة الأمصار وهو فتح الجيم والميم من (الجمل)

[1]– تفسير الرازي، 81/14–82.

[2]– تفسير الدر المنثور، 391/6.

[3]– جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 189/10.

[4]– ينظر: معجم القراءات القرآنية، 47/3

[5]– ابن منظور مكرم، لسان العرب، تح علي الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، مادة جمل، ص683.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

وتخفيفها، لأنها القراءة المستفيضة في قرأة الأمصار وغير جائز خلاف ما جاءت به الحجة متفقة عليه من القرأة»[1]

إلا أنه يصح الاحتجاج بها، وبالتالي فإننا نلاحظ أنّ كلتا القراءتين خطاب حقيقي تحدّى الله به الكفار وأيّسهم من دخول الجنة، فهم لا يَرِدُونها ولا يدخلونها مثلما لا يمكن للجَمَل ولا الجُمّل (الحبل الغليظ) أن يدخل ثقب الإبرة، وبالتالي لا تناقض ولا تضاد بين القراءتين.

بل إنّ قراءة التشديد قد أضافت معنى إضافيا فسّرت به قراءة التخفيف وأتّمت به المعنى؛ وسواء أكان الجمل المقصود هو الحيوان المعروف أم الحبل الغليظ، فالنتيجة واحدة، وهي الاستحالة العملية في دخول المكذبين بآيات الله الجنة.

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾[2]

قرأ الجمهور (الإبِلِ) بكسر الباء وتخفيف اللام، وقرأ علي بن أبي طالب والجحدري وابن السميفع ويونس بن حبيب وهارون كلاهما عن أبي عمرو وابن عباس ورويت عن أبي جعفر والكسائي وعيسى والجوني وعائشة وأبو المتوكل (الإبِلّ) بشد اللام، قال أبو عمرو بن العلاء: «من قرأها بالتخفيف أراد البعير ومن قرأها بالتثقيل قال الإبلّ السحاب التي تحمل الماء للمطر»[3]

وقال أبو حيان في البحر: «(الإبل) وهي الجمال فإنه اجتمع فيها ما تفرق من المنافع في غيرها من أكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها والتنقل عليها إلى البلاد الشاسعة وصبرها على العطش وطواعيتها لمن يقودها ونهضتها وهي باركة بالأحمال

[1]– جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 195/10

[2]– سورة الغاشية، الآية رقم40

[3]– معجم القراءات القرآنية، 403/10–404.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

الثقال وكثرة حنينها وتأثرها بالصوت الحسن على غلظ أكبادها وهي لا شيء من الحيوان جمع هذه الخصال غيرها... ولكونها أفضل ما عند العرب جعلوها دية، وناسب التنبيه بالنظر إليها وإلى ما حوت من عجائب الصفات ما ذكر معها من السماء والجبال والأرض لانتظام هذه الأشياء في نظر العرب في أوديتهم وبواديهم وليدل على الاستدلال على إثبات الصانع وأنه ليس مختصا بنوع دون نوع بل هو عام في كل موجوداته كما قيل: **وفي كل شيء له آية––تدل على أنه واحد**؛ وقال أبو العباس المبرد: الإبل هنا السحاب لأن العرب قد تسميها بذلك إذ تأتي إرسالا كالإبل وتزجي كما تزجي الإبل...»[1]

وقال الزمخشري مستدلا برواية على صحة القراءة الأولى وفي الوقت نفسه عقّب على قول المبرد: «عن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت أين تريد؟ قال: أريد الكناسة قلت: وما تصنع بها؟ قال أنظر إلى الإبل كيف خلقت فإن قلت: كيف حسن ذكر الإبل مع السماء والجبال والأرض ولا مناسبة؟ قلت: قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم..[ثم عقّب على المبرد قائلا] إنما رأى السحاب مشبها بالإبل كثيرا في أشعارهم فجوّز أن يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز»[2]

التوفيق بين القراءتين: وهو الاستدلال الذي جاء به الرازي في تفسيره بعد أن عدّد منافع وفوائد الإبل، ثم أورد المناسبة بين الإبل والسماء والجبال والأرض فقال: «في

[1]– أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح عبد الرزاق المهيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002م، 652–651/8

[2]– محمود الزمخشري، تفسير الكشاف، تح عادل عبد الموجود ومحمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م، 365/6

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

بيان ما بين هذه الأشياء من المناسبة...إنما رأى السحاب مشبها بالإبل في كثير من أشعارهم فجوز أن يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز، وعلى هذا التقدير فالمناسبة ظاهرة، أما إذا حملنا الإبل على مفهومه المشهور فوجه المناسبة بينها وبين السماء والجبال والأرض من وجهين (الأول) أن القرآن نزل على لغة العرب وكانوا يسافرون كثيرا، لأن بلدتهم بلدة خالية عن الزرع وكانت أسفارهم في أكثر الأمر على الإبل، فكانوا كثيرا ما يسيرون عليها في القفار مستوحشين منفردين عن الناس، ومن شأن الإنسان إذا انفرد أن يقبل على التفكر في الأشياء ... فإذا فكر في ذلك الحال وقع بصره أول الأمر على الجمل الذي ركبه، فيرى منظرا عجيبا وإذا نظر إلى فوق لم ير غير السماء، وإذا نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال، وإذا نظر إلى ما تحت لم ير غير الأرض ...(الوجه الثاني) أنّ جميع المخلوقات دالة على الصانع»[1]

إذن قراءة التشديد وافقت السياق العام الذي تدور عليه الآيات اللاحقة، وعلى هذا يصحّ أن يراد بها السحاب لينتظمها الذكر على حسب النظم على أن هذا لا يتفق مع سهولة بيان القرآن ونظمه وإنما أوردها منتظمة مع السماء والأرض والجبال لأن العرب في بواديهم وأوديتهم يألفون رؤيتها جميعا فانتظمها الذكر مع هذه الأشياء[2]

[1]– تفسير الرازي، 158/31.

[2]– ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، دار اليمامة بدمشق ودار ابن كثير بدمشق، ط7، 1999، مج8 ص296

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [1]

قرأ الجماعة (أُمّةٍ) بضم الهمزة وتشديد الميم وتاء منونة، ومعناها المدّة الطويلة، وقرأ ابن عباس وزيد بن علي والضحاك وقتادة وأبو رجاء وابن عمر ومجاهد وعكرمة والحسن (أَمَهٍ) بفتح الهمزة وميم مخففة بعدها هاء منونة، والأمه النسيان[2]، قال ابن جني: «الأمَهُ: النسيان، أمِهَ الرجل يأمَهُ أَمَهًا أي نسي»[3]

وقال الفراء: «(الأمّة) الحين من الدهر، و(بعد أمَهٍ) هو النسيان، يقال رجل مأموه كأنه الذي ليس معه عقله وقد أمِه الرجل»[4] وقال الرازي مخرجا القراءتين: «وأما (الأمة) ففيه وجوه: الأول: بعد أمة أي بعد حين وذلك لأن الحين إنما يحصل عند اجتماع الأيام الكثيرة كما أن الأمة إنما تحصل عند اجتماع الجمع العظيم...وقرئ (بعد أَمَهٍ) بفتح الهمزة والميم وتنوين الهاء، أي بعد نسيان يقال أمه يأمه أمها إذا نسي...وحاصل الكلام أنه إما أن يكون المراد وادكر بعد مضي الأوقات الكثيرة من الوقت الذي أوصاه يوسف عليه السلام بذكره عند الملك أو المراد وادكر بعد النسيان»[5]

التوفيق بين القراءتين: ما يلاحظ على القراءتين أنّ كلتيهما تدلان على المدة الزمنية سواء أكانت معلومة أو غير معلومة، لأن الحاصل بينهما هو التذكر، وبالتالي نرى أن للقراءتين معنى واحدا لا تضاد بينهما كما رأيت، قال الشاعر:

---

[1] – سورة يوسف: الآية رقم45

[2] – ينظر: معجم القراءات القرآنية، 273/4

[3] – المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، 344/1

[4] – الفراء أبي زكريا، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983، 46/2

[5] – تفسير الرازي، 152/18

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

أمِهْتُ وَكُنْتُ لا أنسى حَدِيثًا كَذَاكَ الدّهرُ يُودِي بِالعُقُولِ

قال الله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [2]

قرأ الجمهور (مساكين) بتخفيف السين جمع مسكين وهو الفقير، وقرأ علي بن أبي طالب وقطرب (مسّاكين) بتشديد السين جمع مسّاك أي: ملاّحين، وقيل أراد بالمسّاكين دبغة المسوك وهي الجلود[3]

قال ابن عطية في محرره: «عبّر عنهم بـــ مساكين إذ هم في حالة يشفق عليهم بسببها»[4]

وقال الرازي: «أن تلك السفينة كانت لأقوام محتاجين متعيشين بها في البحر والله تعالى سماهم مساكين مع أنهم كانوا يملكون تلك السفينة»[5]

وقال الآلوسي معلقا وموجها هاتين القراءتين: «(لمساكين) لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة جمع مسكين...ويشمل هذا ما إذا كان العجز لأمر في النفس أو البدن ومن هنا قيل سموا مساكين لزمانتهم وإطلاق مساكين عليهم على هذا من باب التغليب...وقرأ علي كرم الله وجهه (لمسّاكين) بتشديد السين جمع تصحيح لمسّاك فقيل

[1]– ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، 120/11

[2]– سورة الكهف، الآية رقم79

[3]– ينظر: معجم القراءات القرآنية، 282/5

[4]– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 535/3

[5]– تفسير الرازي، 161/21

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

المعنى الملاحين، وقيل: المساكون دبغة المسوك وهي الجلود واحدها مسك ولعل إرادة الملاحين أظهر»[1]

التوفيق بين القراءتين:

المعنى الحاصل بين القراءتين هو الضعف والعنت الذي كان فيه هؤلاء العمال، وبالتالي لا فرق بين من احتج بقراءة (مساكين) مشددة أو مخففة، وإن كان القرطبي قد انتصر لقراءة الجمهور عندما قال: « والأظهر قراءة مساكين بالتخفيف، جمع مسكين وأنّ معناها: إنّ السفينة لقوم ضعفاء ينبغي أن يشفق عليهم»[2]

قال الله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾[3]

قرأ الجمهور (غشاوة) بكسر الغين ورفع التاء، وقرأ الحسن البصري (عشاوة) بالعين المهملة ورفع التاء[4]

نلاحظ حصول إبدال بين العين والغين لتقاربهما لأن كلاهما صوتان حلقيان جهوريان[5]

ومن يطلع على أقوال المفسرين يجدها واضحة إزاء كل قراءة، ومنثمّ تبينهم للمعنى الذي حققته كل قراءة، يقول شيخ المفسرين عن قراءة الجمهور: «وإنما أخبر الله

[1]– شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 9/16

[2]– الجامع لأحكام القرآن، 349/13.

[3]– سورة البقرة، الآية7.

[4]– ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات القرآنية، 39/1

[5]– ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص85

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

تعالى ذكره نبيه محمدا (ص) عن الذين كفروا به من أحبار اليهود أنه قد ختم على قلوبهم وطبع عليها فلا يعقلون لله تبارك وتعالى موعظة وعظهم بها ... وأعلمه مع ذلك أنّ على أبصارهم غشاوة عن أن يبصروا سبل الهدى فيعلموا قبح ما هم عليه من الضلالة والردى»[1]

وأشار إلى هذا المعنى الشيخ وهبة الزحيلي في تفسيره فقال: «على أعينهم غطاء من عند الله تعالى فلا يبصرون الحق، وعبّر الله تعالى عن إحداث الهيئة بالطبع في قوله ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ**﴾ [سورة النحل، 108] وبالإعمال في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا**﴾ [سورة الكهف، 28]، وبالإقساء في قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ**﴾ [سورة المائدة، 13]، وهذه الهيئة من حيث إنّ الممكنات بأسرها مستندة إلى الله تعالى واقعة بقدرته أسندت إليه سبحانه وتعالى، ومن حيث إنها مسببة عما اقترفوه بدليل قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا**﴾ [سورة النساء، 155]»[2]

[1] – تفسير الطبري، 266/1

[2] – الخطيب الشربيني شمس الدين، تفسير السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق الأميرية، 1285هـ، 21/1.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

أمّا القراءة الثانية المتمثلة في (العشاوة) فنجد الآلوسي يقول: «والمعنى أنهم يبصرون إبصار غفلة لا إبصار عبرة أو أنهم لا يرون آيات الله تعالى في ظلمات كفرهم ولو زالت أبصروها»[1]

ولكي يتبين الأثر النفسي للإبدال وجب الرجوع إلى معاجم اللغة لتمييز الفرق بين (الغشاوة) و(العشاوة)، يقول ابن فارس في الغشاوة: «الغين والشين والحرف المعتل أصل صحيح يدل على تغطية شيء بشيء، والغشاء الغطاء»[2]، والغشاوة ما غشي القلب من الطبع وعلى بصره وقلبه غَشو وغُشُو وغُشْوة أي الغطاء[3]

وفي (العشاوة) يقول صاحب المقاييس: «العين والشين والحرف المعتل صحيح يدل على ظلام وقلة وضوح في الشيء»[4]، والأعشى هو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار[5]

ومن ثمّ فإنّه من يتأمل اللفظتين في جانبهما اللغوي يدرك أنّ الأولى «تحتاج إلى حركة لحصول عملية التغطية فكأنهم غطوا أعينهم ومنعوها من رؤية الحق والإيمان، وأما العشاوة فهي حالة مرضية تدل على سوء البصر فلا تحتاج إلى قوة لحدوثها أو تحققها

[1]– تفسير روح المعاني، 139/1.

[2]– أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط1، 1979م، 425/4

[3]– لسان العرب، 126/15 (مادة عشا)

[4]– مقاييس اللغة، 322/4

[5]– إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، 1990م، 2427/6

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

وكأن قلوبهم المريضة عكست لهذا المرض على أبصارهم فصاروا عمين في البصر والبصيرة، ولإيضاح الأثر التفسيري للإبدال يمكن المقارنة بينهما على النحو التالي:

	الغشاوة	العشاوة
1	سبب عدم تمكنهم رؤية الحق والهدى خارجي وهو الغطاء على أعينهم	سبب عدم تمكنهم رؤية الحق والهدى داخلي وهو سوء البصر
2	المانع رؤية الحق خارجي قد يزول بسهولة أكثر من القراءة الأخرى	مانع رؤية الحق ناشئ من العين نفسها مما يدل على قوة وملازمة هذا المانع
3	دلالتها من حيث القوة أقل من الأخرى	أقوى دلالة في مراد الآية» [1]

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝ ﴾ [2]

قرأ جمهور القراء (سبحا) بالحاء المهملة، أي: تصرفا وتقلبا في المهمات، وقرأ يحي بن يعمر وعكرمة وابن أبي عبلة وأبو عمران وأبو وائل والضحاك وعلي وابن مسعود (سبخا) بالخاء المنقوطة، ومعناه: خفّة الطلب، وقيل: الفراغ الطويل، وقيل: هو النوم، وقيل توسعة القطن والصوف[3]

نلاحظ أنّ الباري تعالى يذكّر نبيه (ص) أنّ لك في طيلة النهار وقت طويل «تتسع به تصرفا وتقلبا، ففرغ نفسك بالليل للصلاة والعبادة[4]

[1]– رافع عبد الغني الطائي، أثر الظواهر الصوتية في تفسير القرآن الكريم، ط1، دار غيداء الأردن، 2020، ص136.

[2]– سورة المزمل، الآية7

[3]– ينظر: معجم القراءات القرآنية، 145/10

[4]– تفسير الطبري، 686/23

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

و(السبح) مصدره الفعل (سبح) وهو استعارة، استعار للتصرف في الحوائج السباحة في الماء وهي البعد فيه[1]، قال ابن عاشور: « وشُغل النبي في النهار بالدعوة إلى الله وإبلاغ القرآن وتعليم الدين ومحاججة المشركين وافتقاد المؤمنين المستضعفين، فعبّر عن جميع ذلك بالسبح الطويل»[2]

أمّا (السبخ) فقد بيّن الزجاج معناها قائلا: « ومعنى سبخا صحيح في اللغة، يقال للقطعة من القطن سبخة ويقال سبخت القطن بمعنى نفشته ومعنى نفشته أي وسعته، والمعنى على ذلك إنّ لك في النهار توسعا طويلا ومعناه قريب من معنى السبح[3]، ومنه قول الأخطل:

فأرْسَـــلُوهُنّ يُـــنْدِفِينَ كَمَـــا يُـــنْدِفِ سَـــبائخَ قُطْـــنٍ

وقال الزمخشري: «وأما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزاءه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة في ما كلفه منه وهو أن الليل أعون على المواطأة وأشد للقراءة...وأنه أجمع للقلب وأضم لنشر

[1]– السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط1، 1406هـ، 519/10

[2]– الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 2008م، 264/29

[3]– إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، 1988م، 241/5

[4]– غياث أبو مالك الأخطل، الديوان ، تح مهدي محمد ناصر الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، ص140

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

الهم من النهار، لأنه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتغلب في حوائج المعاش والمعاد»[1]

أيضا يدل (التسبيخ) على التخفيف، يقال: (اللهم سبّخ عنه الحمى أي خفف)[2]، قال البغوي: «بالخاء المعجمة أي استراحة وتخفيفا للبدن [3]، ويظهر هذا المعنى أنّ وقت النهار استراحة للبدن وتخفيف له من تكاليف وعناء قيام الليل لأنه يحتاج إلى جهد كبير للمداومة عليه»[4]

وأيضا من معاني (التسبيخ) النوم، لأنه أدعى على أن يساعده على قيام الليل، وبالتالي نرى أنّ الإبدال الواقع بين الحرفين (الحاء والخاء) في الصيغة منح دلالة جديدة تتمثل في استعانة المريد القيام بالنوم في النهار ليستطيع القيام بالليل، وهو من الأعمال الجليلة التي توثق الصلة بين العبد وربّه، يقول رافع الطائي: « دلّت على مكابدة القلب في النهار من شواغل الحياة الدنيا فيتبتل إلى خالقه ليلا ليخلص من ذلك، وحثت على استراحة البدن في النهار بالنوم ليقدر على تحمل القيام بلا مشقة ولا عنت، وهي مع نظيرتها –قراءة الجمهور– بينت المعنى المراد في أعلى صورة الفصاحة اللفظية»[5]

[1]– تفسير الكشاف، 639/4

[2]– لسان العرب، مادة (سبخ) 23/3

[3]– الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، تح: عبد الله النمر، جمعة ضميرية، سليمان الحرش، دار طيبة، الرياض، ط1، 1989م، 169/5

[4]– ينظر: أثر الظواهر الصوتية في تفسير القرآن، ص 153

[5]– المرجع نفسه، ص153.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

حتى وإن قلنا جدلا أنهما متباعدتان لفظا فإنّ المعنى يجمعهما، يقول ابن جني: «وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد»[1]

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[2]

قرأ الجمهور من القراء (تكلّمهم) بالتشدد من الكلام، وهي قراءة تؤيدها قراءة أبي بن كعب (تُنَبِّئُهُم)، وقراءة يحي بن سلام (تُحَدِّثُهم)، وهذا ما جعل التابعي قتادة ينتصر لهذه القراءة لأنهما تؤيدان قراءة الجمهور، وتدلان على أنّ المراد بها الكلام لا الكلْم[3]

قال الآلوسي: «وكون التكليم من الكلام هو الظاهر»[4]، وقد أشار إلى ذلك الشيخ الشعراوي في تفسيره قائلا: «وانظر إلى هذه الإهانة وهذا التوبيخ: أنتم لم تسمعوا كلام أمثالكم من البشر و لم تفهموا من يخاطبكم بلغتكم فاسمعوا الآن من الأدنى وافهموا عنها وفسّروا قولها، لكن ماذا ستقول الدابة لهم؟ وما نوع كلامها؟ (أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أي بآياتنا السابقة لا يؤمنون وها أنا ذا أكلمهم»[5]

---

[1]– أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1371هـ، 135/2.

[2]– سورة النمل: الآية 82

[3]– معجم القراءات القرآنية، 559/6

[4]– روح المعاني، 25/20.

[5]– الشعراوي، تفسير الشعراوي، مكتبة دار السلام، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، (د.ت)، 579/17.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

قال القرطبي مستدلا بقول السّدّي: «تُكَلّمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام، وقيل تكلمهم بما يسوءهم، وقيل تكلمهم بلسان ذَلِقٍ فتقول بصوت يسمعه مَنْ قَرُبَ وبَعُدَ (أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أي: بخروجي لأنّ خروجها من الآيات»[1]

وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن جبير والحسن وأبو زرعة والجحدري وأبو حيوة وابن أبي عبلة وأبو رجاء وعكرمة وطلحة وعمرو بن جرير وهارون عن عاصم (تَكْلِمُهُمْ) بفتح التاء وسكون الكاف مخفف اللام من الكَلْم وهو الجرح؛ وسأل أبو الجوزاء ابن عباس قائلا: (تُكَلّم أو تَكْلِم) فقال: كل ذلك تفعل، تُكَلّم المؤمن وتَكْلِمُ الكافر والفاجر أي تجرحه»[2]

قال الآلوسي:«لأن بعضهم قرأها تجرحهم مكان تكلمهم وكأنه أريد بالجرح ما هو مقابل التعديل، ويرجع ذلك إلى معنى التشنيع ورجوع الضمائر عليه إلى الكفرة المحدث عنهم فيما سبق مما لا غبار عليه...وقيل الرمز إلى مزيد قبحِ عدم الإيقان منهم ويعلم مما ذكر وجه العدول عن أنهم إلى أن الناس، وجوز أن يكون بتقدير حرف التعليل أي لأن الناس، وهو تعليل من جهته تعالى لجرحها إياهم، ويجوز أيضا أن يكون المراد بالكلم الجرح بمعنى الوسم، فقد روي أنها تسم جبهة الكافر، وفي رواية أخرى أنها تحطم أنفه بعصا موسى عليه السلام التي معها، واختار بعضهم كون المراد به ما ذكر لما في الحديث: ليس ذلك بحديث ولا كلام ولكنه سمة تسم من أمرها الله تعالى»[3]

[1] – تفسير القرطبي 214/16

[2] – معجم القراءات القرآنية، 559/6

[3] – روح المعاني 25/20

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

وقال ابن جني : «تَكْلِمُهم تجرحهم بأكلها إياهم، ألا ترى أن تكلمهم لا يكون إلا من الكَلْمِ وهو الجرح، وهذه المادة مما وضعته العرب عبارة عن الشدة هي وتقاليبها الستة: كلم، كمل، ملك، لكم، مكل، لمك»[1]

التوفيق بينهما:

حاول السمين الحلبي التوفيق بينهما فقال: «يجوز أن يكون تكلّمهم بمعنييه من الحديث والجرح أي: تحدثهم بأن الناس أو بسبب أن الناس، أو تجرحهم بأن الناس، أي: تسمهم بهذا اللفظ أو تسمهم بسبب انتفاء الإيمان» [2]

4. الخاتمـــــة:

هذا غيض من فيض، للأمثلة التي تمّ تدارسها في هذه العجالة، ولولا أنّها تأخذ مساحة من البحث لأضفنا أمثلة أخرى، وحسبنا ما أوردناه.

فبعد هذه الجولة التي قمنا بها في مطارحة وتثوير المفردة القرآنية المقروء بها، حاولنا من خلالها أن نوفق بين القراءات المتواترة والشاذة حتى يتبين للقارئ تلك العلاقة القائمة بينهما، دون أن يكون بينهما تناقض أو تضاد، فرغم الشذوذ الذي وسمت به بعض القراءات إلا أنها تصلح للاحتجاج كما نص على ذلك جملة من الأعلام على غرار ابن جني والسيوطي.

– توصل البحث إلى أن المفردة القرآنية لها خاصية الإعجاز لا توجد في نظائرها في بقية الخطابات البشرية الأخرى.

[1] – المحتسب، 145/2

[2] – الدر المصون، 643/8

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

– أكّد البحث على ذلك التنوع والثراء اللغوي الذي تحتوي عليه القراءات الشاذة، فالبرغم من المعاني التي طواها الزمن وتناستها العقول، آن الأوان أن يزاح عنها غبار النسيان، ويستعان بتراكيبها خدمة للغة الضاد.

– توصّل البحث إلى أنّ للقراءات الشّاذة معانٍ لا توجد في بقية لغات العالم، ونحن هنا نتساءل؟ هل تعرف لغة ما بأنّ المسّاك هو الذي يدبغ الجلود، وأنّ كلمة الإبِلّ معناها السحاب، والأَمَهُ هو النسيان، والجُمّلُ هو الحبل الغليظ...وهلم جرّا.

في الأخير يقترح البحث ويوصي:

– أن يُنْجَزَ معجم خاص بالقراءات الشاذة ومدارستها من جميع جوانبها الدلالية والبلاغية واللغوية.

– يوصي البحث بأن تنجز رسائل آكاديمية وذلك بتسليط الضوء على هذه المادة الأُمْلُودَةِ.

– يقترح البحث بإنجاز معجم وظيفي للقراءات الشاذة، يستفيد منه طلبة العلم، خاصة طلبة الدراسات العليا.

– يوصي البحث أن تكون مادة القراءات الشّاذة ضمن البرامج والمقررات الدراسية الجامعية لما لها من ثراء لغوي يضاهي ويفوق بقية الأجناس الأدبية الأخرى على غرار الأمثال والحكم والشعر العربي.

5. قائمة المراجـــع:

القرآن الكريم، برواية حفص.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

– إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، البَنَّا الدِّمْيَاطي شهاب الدين (–1117هـ)، وضع حواشيه: أنس مهرة، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006.

– أساس البلاغة، الزمخشري جار الله محمود (–538هـ)، (د.ط)، بيروت، دار الفكر، 2004.

– الإتقان في علوم القرآن، السُّيُوطِي جلال الدين (–911هـ)، تح مركز الدراسات القرآنية، السعودية، ط1، 1426هـ.

– الاقتراح في علم أصول النحو، السُّيُوطِي جلال الدين (–911هـ)، قراءة وتعليق: محمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، قناة السويس، 2006م.

– أثر الظواهر الصوتية في تفسير القرآن الكريم، رافع عبد الغني الطائي، ط1، دار غيداء الأردن، 2020.

– أثر القراءة الشاذة في اختلاف الفقهاء، وليد الصميدعي، مجلة ديالي، العدد45، السنة 2010.

– الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (–1397هـ)، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1975م.

– إعجاز القراءات القرآنية، صبري الأشوح، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1998.

– إعراب القرآن، أبو بكر النحاس (–338هـ)، اعتنى به خالد العلي، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2008م.

– البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (–745هـ)، تح عبد الرزاق المهيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002م.

– البحر المحيط وبهامشه البحر الماد من البحر المحيط والدر اللقيط من البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (–745هـ)، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1338هـ.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

– البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (–794هـ)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1، 1957م.

– جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري (–310هـ)، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر بالجيزة، 2001م.

– الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أبي بكر القرطبي (–671هـ)، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006م.

– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي(–756هـ)، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط1، 1406هـ.

– الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السُّيُوطِي جلال الدين (–911هـ)، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مركز هجر للبحوث العربية والإسلامية، 2003م.

– ديوان الأخطل، غياث أبو مالك الأخطل (–92هـ)، تح مهدي محمد ناصر الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

– دراسات لأسلوب القرآن الكريم، عبد الخالق عضيمة (–1984م)، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، 1975م.

– الكليات، أبو البقاء الكفوي (–1094هـ)، ط2، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، السنة 1998.

– لسان العرب، ابن منظور مكرم (–711هـ)، تحقيق علي الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

– موسوعة تفسير سورة يوسف، متولي بدوي البني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

– موسوعة علوم اللغة العربية، إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006.

– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي (–546هـ)، تح عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

– المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبي الفتح ابن جني (–392هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994م.

– معاني القرآن، الفراء أبي زكريا (–207هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983.

– معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (–311هـ)، تح عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، 1988م.

– معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي (–516هـ)، تح: عبد الله النمر، جمعة ضميرية، سليمان الحرش، دار طيبة، الرياض، ط1، 1989م.

– معجم القراءات القرآنية، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق، 2000م.

–المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي(–834هـ)، ط1، المكتبة العلمية، بيروت.

– المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ط1، 1989م.

– مختار الصحاح، الرازي محمد بن أبي بكر(–660هـ)، ط1 تح: يحي خالد توفيق، القاهرة، مكتبة الآداب، 1998.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

– منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجَزَرِي شمس الدين محمد (–833هـ)، ط1 وضع حواشيه: زكريا عميرات ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1999.

– مناهل العرفان في علوم القرآن، الزُّرْقَاني محمد عبد العظيم(–1367هـ)، ، ط1، لبنان، بيروت، دار الفكر، 2004.

– مقاييس اللغة، أحمد بن فارس(–395هـ)، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط1، 1979م.

– نواهد الأبكار وشواهد الأفكار، السُّيُوطِي جلال الدين (–911هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد الدروبي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى بالسعودية، 1425هـ.

– السبعة في القراءات، ابن مجاهد أبو بكر (–324هـ)، تحقيق شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر، 1400هـ.

– فتح القدير، الشوكاني الصنعاني (–1250هـ)، ط1، دار النوادر، الكويت، 2010م.

– الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي (–2002م)، ط1، دار الكتاب اللبناني/بيروت، ومكتبة المدرسة، بيروت، 1982.

– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري(–393هـ)، تح أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، 1990م.

– القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزابادي (–816هـ)، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

– القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، الفضلي عبد الهادي، ط3، بيروت، دار القلم، 1985.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:01 السنة:2021 الصفحة:15–55 تاريخ النشر:27–06–2021

– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي (–1270هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

– تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور(–1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 2008م.

– تفسير السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني شمس الدين (–977هـ)، مطبعة بولاق الأميرية، مصر، 1285هـ.

– تفسير الكشاف، محمود الزمخشري(–538هـ)، تح عادل عبد الموجود ومحمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م.

– تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم (–327هـ)، تح أسعد محمد الطيب، ط1، مركز الدراسات والبحوث بالرياض، 1997م.

– تفسير مفاتيح الغيب، الفخر الرازي (–606هـ)، دار الفكر، بيروت، ط1، 1981م.

– التعريفات، السيد الشريف الجرجاني (–816هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، مصر، 1938م.

– الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني(–392هـ)، تح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1371هـ.